المفارقة في سورة الفجر

إعـــداد:

د. فوزية صالح علوي الحبشي.

أستاذ مساعد بقسم المواد العامة.

التخصص العام: اللغة العربية. التخصص الدقيق: أدب.

جامعة الملك عبد العزيز . جدة. المملكة العربية السعودية

المفارقة في سورة الفجر

د. فوزية صالح علوي الحبشي.
أستاذ مساعد بقسم المواد العامة.
التخصص العام: اللغة العربية. التخصص الدقيق: أدب.
جامعة الملك عبد العزيز . جدة. المملكة العربية السعودية

• المستخلص :

يهدف البحث المعنون بـ(المفارقة في سورة الفجر) إلى الكشف عن مظاهر وصور المفارقة في سورة الفجر باعتبار أن المفارقة هي إحدى الإمكانات الأسلوبية التي تتناول المستوى اللغوي والدلالي للخطاب المبني على وجود علاقة تضادية سواء في المستوى النصّي، أو السياقي. ويسلط البحث الضوء على صور المفارقة في سورة الفجر ودورها في استبطان الرسالة الموحية الشمولية التي تجمع بين كل تلك المفارقات في وحدة معنوية تبين أهم مرتكزات الحضارة الراشدة في المنظور القرآني التي أسست مبادئه على القيم والأخلاق والتكافل مفارقة بذلك الحضارات البائدة التي ارتكزت على المادة فأقامت العمران وأشقت الإنسان. ولقد جاء البحث بمقدمة ومبحثين: المبحث الأول يعرف مفهوم (المفارقة) قديما وحديثا ويبين علاقته بالتراث العربي، والمبحث الثاني يستجلي صور المفارقة ومظاهرها في سورة الفجر ودلالاتها.

الكلمات المفتاحية :المفارقة ، سورة الفجر

"Irony in Surah Al-Fajr"

Dr. Fawzia Saleh Al-Habshi

Abstract

The research entitled "Irony in Surah Al-Fajr" aims to uncover the manifestations and images of irony in Surah Al-Fajr, considering irony as one of the stylistic possibilities that address the linguistic and semantic levels of discourse based on the existence of a contradictory relationship, whether at the textual or contextual level. The research sheds light on the images of irony in Surah Al-Fajr and their role in conveying the comprehensive guiding message that combines all these ironies into a conceptual unity, highlighting the main pillars of the righteous civilization in the Quranic perspective, which is based on values, ethics, and solidarity, contrasting with the ancient civilizations that were based on materialism, erecting structures, and neglecting humanity. The research consists of an introduction and two sections: the first section defines the concept of irony historically and contemporarily and its relation to Arabic heritage, while the second section examines the images of irony and their manifestations in Surah Al-Fajr and their implications.

Keywords: irony, Surah Al-Fajr

• المقدمة:

القرآن الكريم كتاب هداية وإصلاح وإعمار، تعددت خطاباته وتنوعت أساليب عرضه لتلبي حاجات المخاطبين على مرّ العصور. ومن إعجازه أنه

خطاب لغوي مفارق، ومن أسمائه (الفرقان): "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا"[١]. وسمّي فرقانا لأن الله فرق به بين الحق والباطل، والحلال والحرام والهدى والضلال وأهل السعادة من أهل الشقاوة[٢]. وقداحتوى خطابه على كثير من المفارقات مطالبا المتلقي قراءته القراءة العميقة وإعمال الفكر والتدبّر الذي دعينا إليهللكشف عن الروابط والعلائق بين معانيه ودلالاته المتشاكلة والمتناظرة التي تربط بين أشكال الخطاب ومستوياته مخاطبا من خلالها الوعي البشري محفزا وموجّها إلى التّفاعل معه والترقي به، والعمل بمعانيه في إطار أن القرآن كله وحدة كلية شمولية بكلّ سورهِ وآياته.

• أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

احتوت سورة الفجر على مفارقات متعددة في مستويات مختلفة على مستوى اللفظ والمعنى والسياق، صيغت بأساليب مختلفة تستثير الفكر لاستنطاق الدلالات الكامنة خلف تلك المفارقات الرابطة لمفاصل السورة، وتستنطق الوحدة الكلية والرسائل الموحية التي تكتنف هذا الخطاب المعجز الفريد الرامي إلى هداية الإنسان وإسعاده فردا ومجتمعا في حياته القصيرة الفانية، والممتدة الباقية. إن قراءة هذه المفارقات ترتقي بالمتلقي لأنها تتيح له اتخاذ القرار من خلال التمييز بين تلك المفارقات بدءا من اللغة والسياق للوصول إلى المعنى الشمولي للسورة المبيّن لأهم مرتكزات الحضارة الإنسانية الراشدة من منظور قرآني ومفارقته لمرتكزات الحضارات البائدة في أسلوب لغوي فريد.

• منهج البحث وأهدافه:

ينتهج البحث (المفارقة) باعتبارها واحدة من"الإمكانات الأسلوبية التي تتناول المستوى اللغوي والدلالي للخطاب المبني على وجود علاقة تضادية سواء في المستوى النصّي، أو الخارج عن النصّ فيما عرف بلاغيا بالسّياق"[٣]. ويهدف البحث إلى الكشف عن مظاهر المفارقة التي زخرت بها سورة الفجر، في العنوان والمطلع والختام وما بينهما من موضوعات، والكشف عن الوحدة المعنوية والمقاصد الكامنة فيها، وهي دراسة إذ تهدف إلى تجديد قراءة النص القرآني من منطلق التدبر الذي دعينا إليه، إلا أنها تنضبط بما يتناسب مع خصوصية وقدسية القرآن الكريم وضوابط القراءة التي تعتمد على الموروث من كتب التفسير وعلوم القرآن ومعاجم اللغة، لاستنطاق المعاني المتجددة لهداية البشرية في كل زمان ومكان.

---

[١] سورة الفرقان، ١.

[٢] ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، ٥٧٧.

[٣] المفارقة القرآنية ٧، محمد العبد، دار الفكر العربي، ١٩٩٤م.

• الدراسات السابقة:

حظيت الساحة البحثية بدراسات عن المفارقة في القرآن الكريم مثل كتاب (المفارقة القرآنية – دراسة في بنية الدلالة، د. محمد العبد، دار الفكر العربي، ١٩٩٤م)، ودراسة (مفارقة الموقف في القرآن الكريم، دراسة في القصص القرآني، ٢٠٠٤م)، ودراسة (المفارقة في القرآن الكريم، هاشم العزام، ٢٠١٤م)، و(المفارقة التصويرية في القرآن الكريم. محمد صبحي الجمال، ٢٠١٩)، وغيرها، بيد أن هذه الدراسة تنفرد بدراسة المفارقة في سورة الفجر تحديدا للكشف عن مظاهرها المختلفة ومستوياتها المتعددة لإدراك المقاصد الكامنة خلف تلك المفارقات، وأثرها في المتلقين فكرا وسلوكا.

• المصطلحات المهمة في البحث: المفارقة، العدول، الدلالة.

• المفارقة- المفهوم في اللغة والاصطلاح:

المفارقة في اللغة: اسم مفعول من "فارق"، و"فَ رَ قَ"، ومصدرها (فِرْق)، والفرق خلاف الجمع ونقيضه؛ لأنّه يقال: "فارق الشيء مفارقة وفراقا: أي باينه. والفرقان: هو كل ما فارق بين الحق والباطل. والفرق: ما انفرق من عمود الصبح، لأنه فارق سواد الليل.٤ في مقاييس اللغة: فرق: يدل على تمييز بين شيئين، والفرقان الصبح، سمي بذلك لأنه يفرق به بين الليل والنهار.٥

أما المفارقة في مفهومها الاصطلاحي فهي: "خصيصة أسلوبية أو إجرائية تعمل على تجلية المعنى وإظهاره وإبرازه عبر قراءة المتضادات بتحفيز العقل وإذكائه لكسر المألوف السائد بناءً لوعي جديد يريد أن يرسخه الخطاب"٦.

وقد وردت المفارقة في البلاغة العربية في حقول متعددة؛ ومن أبرز المصطلحات المتضمنة لها ما أطلق عليه القزويني: "فن التفريق"، وهو فنّ يقوم على العلاقات الضدّية التي تشبه المقارنة؛ لأنه يقوم على إبراز أوجه المفارقة بين أمرين. وعرفه القزويني بأنه: "إيقاع تباين بين أمرين من نوع واحد في المدح أو غيره [واستشهد بقول] رشيد الوطواط:

مَن قاسَ جَدواكَ بالغمامِ فَما أنصَفَ في الحكمِ بينَ شيئينِ ...
أنت إذا جُدتَ ضاحِكٌ أبداً وذَاكَ إن جَادَ دامِعُ العَينِ"٧

وقد أورد الدكتور محمد العبد في كتابه (المفارقة القرآنية)٨ بعضا من فنون وأبواب البلاغة العربية مما يتسع له مفهوم المفارقة من مثل: (العدول)،

٤ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة: فرق، ١٠/٣٠٣.

٥ينظر: مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، دار الفكر، تحقيق عبد السلام هارون، ١٩٧٩م، مادة: فرق، ٤ / ٤٩٤.

٦ينظر: المفارقة التصويرية- مفهومها وتجلياتها في التراث البلاغي، ٧٤، دعاء إبراهيم، مجلة كلية الآداب، جامعة أسوان- كلية الآداب، ع: ٩، (٩٣-٦٧)، ٢٠٢١م.

٧ينظر: الإيضاح للقزويني، ٣٦٨.

٨ المفارقة القرآنية- دراسة في بنية الدلالة، محمد العبد، دار الفكر العربي، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٤٤٩م، ٢٧.

كما هي في نظرية (معنى المعنى) عند عبد القاهر الجرجاني؛ بأن جعل الكلام على ضربين: المعنى، ومعنى المعنى. فالمعنى الأول هو ظاهر اللفظ، ومعنى المعنى: أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذاك المعنى إلى معنى آخر. وذلك يكمن في الاستعارة والكناية والتمثيل، مما يحدِث طرافة في المعنى وطاقة تعبيرية أكبر من التعبير المباشر٩. ويؤيده في هذا الطرح الأستاذ الدكتور عيد بلبع فيقول: "المفارقة نمط من أنماط العدول فهو استعمال خاص للغة ذو وظيفة بلاغية مضاعفة ومتعددة"١٠، وهي متعددة لأنها تأتي في ظواهر مختلفة ارتبطت بمباحث بلاغية في المدونات البلاغية العربية، منها: تأكيد المدح بما يشبه الذم، وحسن التعليل. ومنه إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال، كقوله تعالى: "ذق إنك أنت العزيز الكريم"١١. ومنه: المفارقة التي يحدثها اختلاف النبر والتنغيم، وغيرها.

وقد وردت إشارة للمفارقة في الأدب اليوناني القديم في كتاب أفلاطون: (الجمهورية) مطلقا عليه مصطلح (آيرونيئيا) الذي قصد به أرسطو معنى (المغايرة) التي تقوم على الحط من الذات بمنزلة أعلى: نقيضها، وتقوم هذه المغايرة على الادّعاء، ويكاد يجعلها في معنى المراوغة، ولم تظهر مفارقة في اللغة الإنجليزية حتى عام ١٥٠٢م .١٢٠ أما في في الدراسات الحديثة فقد دُرست (المفارقة) بوصفها مصطلحا محددًا، فنجد لها تعريفات في دراسات الباحثين في الأسلوبية المنطلقة من البلاغة الغربية التي تتعالق مع البلاغة العربية في مفهومها العام الذي يشير إلى خطاب ينطوي على تناقض ظاهري يخالف المألوف أو المتوقع١٣. وفي معجم أكسفورد نجد لها التعريف التالي: "المفارقة **Irony** هي: صيغة من التّعبير تتطلب من القارئ إدراكا بأنّ المنطوق لا ينبغي أن يؤخذ على قيمته السّطحية بل إدراكا لمعنى آخر يحدّده الموقف التّبليغي، وهو معنى مفارق للمعنى السّطحي العرفي"١٤. وترى نبيلة إبراهيم أنّ مصطلح المفارقة يتجاوز اللغة الظاهرة إلى الدّلالة العميقة وإيحاءاتها الداخلية فتقرر بأن المفارقة تعبير لغوي بلاغيّ يرتكز على العلاقة الذهنية بين الألفاظ أكثر مما يعتمد على العلاقة النغميّة أو التشكلية.١٥ فهي تشير بذلك إلى توسّع مصطلح المفارقة بتجاوزه المفارقات اللفظية أو التضادّ الظاهري الموجود في بعض فنون اللفظ، كالطباق والمقابلة إلى قراءة المستوى

٩ينظر: المفارقة القرآنية ٧، محمد العبد، دار الفكر العربي، ١٩٩٤م.

١٠ العدول بالمفارق- التداخل المغالطي بين الحجاجي والجمالي، مجلةسياقات اللغة والدراسات البينية، عيد بلبع، مج ٧ع٢٠٢٢م، ١-١٧، الناشر: Natural Sciences Publishing.

١١سورة الدخان، ٤٩.

١٢ دراسة بنية المفارقة في النص السردي الحديث، إيمان حلمي بغدادي. حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، مج:٣٦، ٢٠٢٢م،(٤٤١-٤٨٥).

١٣أبا حسين، محمد بن منصور (١٩٩٠). لغة المفارقة الدارة، مج: ١٦، ع٢، ١٧٠- ١٩٣. (ص: ١٧٠)

١٤ينظر: معجم أكسفورد للمصطلحات الأدبية: ٢١١، تشيريمي بلاديله، ترجمة: شاهد موسى وآخرون، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ٢٠٢٠م.

١٥ المفارقة، نبيلة إبراهيم ، مجلة فصول، مج: ٧، ع ٣، القاهرة ، ١٩٨٧م.

العميق للّغة بإعمال العقل في محاولة لاكتشاف المعنى الجديد الكامن في تلك المفارقات المتضادة. وأشارت سيزا قاسم إلى مفهوم المفارقة في دراستها للقصص العربي فعرّفت المفارقة بأنها : "استراتيجية يتمّ فيها كسر التوقع عبر عملية عقلية من أرقى أنواع النشاط العقلي وأكثرها تعقيدا"١٦، وأعلى من ذلك ما ترى أمينة رشيد بأنّ المفارقة هي نظرة جديدة للعالم تبيّن الموقف من حقيقة الأشياء١٧.

ومن خلال أقوال الدارسين والباحثين قديما وحديثا تتجلّى الوظيفة الأبرز للمفارقة، وهي الوظيفة التواصلية بالدرجة الأولى؛ حيث تقوم عناصرها على نوع من التناقض بين البنية السّائدة لظاهر الخطاب وبين المعنى الكامن، وعلى المتلقي اكتشاف الرسالة المضمّنة بين تلك البنى المتفارقة. وهذا ما يحمل المتلقي على القراءة العميقة وإعمال الذّهن في استكشاف المعاني والدلالات والروابط وإدراك الفروق بينها، واستجلاء الرسالة الكامنة التي تقوده في نهاية الأمر إلى الفعل الراشد الناشئ عن قناعة داخلية غير مفروضة. وقد ينشأ هنا سؤال: لماذا الخطاب المفارق على الرغم من إمكانية عرض المعنى بصورة واحدة مباشرة مختصرة وواضحة؟ والجواب : أنّ المعنى يكتسب بالخطاب المفارق طاقة تعبيرية أكبر تسهم في إثراء العملية التواصلية بين النص والمتلقي من خلال المرور بين سطح المعنى والعمق الذي يرمي إليه، ومن ثم الوصول للرسالة المضمنة في الخطاب. حيث ارتكز في الطبع "أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالمزية أولى" كما عبّر الجرجاني١٨؛ لذا فإن من أهم وظائف المفارقة الجمالية أنها لا تعطيك المعنى جاهزا بل تحتاج للوصول إليه إلى المراجعة والمعاودة وترديد النّظر والتأمل، والنّظر في المعاني المتباينة المتناقضة أو المتضادة للوصول للرسالة المضمنة ما يتيح لذة الكدّ، وإعمال الخاطر في طلبه، يقول عبد القادر الجرجاني: "إنّ المعنى إذا أتاك ممثّلا، فهو في الأكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له، والهمّة في طلبه، وما كان منه ألطف كان امتناعه عليك أكثر، وإباؤه أظهر واحتجابه أشدّ"١٩.

- **صور المفارقة في سورة الفجر:**

سورة الفجر من السورة المكية٢٠ التي نزلت في بكورِ الدعوة المحمدية بعد سورة (الليل)، وقبل سورة (الضحى)، والعجيب هو توافق ترتيبها النزولي مع

---

١٦ سيزا قاسم، المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة فصول، القاهرة ١٩٨٢م، مج٢، ص ١٤٣ و ١٤٤.

١٧ينظر: المفارقة الروائية والزمن التاريخي ، أمينة رشيد، مجلة فصول، مج: ١١، ع: ٤، القاهرة، ١٩٩٣م ، ص: ١٤٣.

١٨أسرار البلاغة للجرجاني: ١٣٩

١٩ السابق.

٢٠ ورد في تفسير البحر المحيط بأنها "مكية على قول الجمهور"، ينظر: تفسير البحر المحيط: ٤٣٦/٨.

زمنها الوجودي؛ فزمن الفجر وسط بين اللّيل والضّحى. وترتيبها في النزول كان العاشرة، وعدد آياتها ثلاثون آية[٢١]. والمتأمل للسورة في بنائها ومعانيها، يجد أنها قد اكتنزت العديد من المفارقات في اللفظ والأسلوب والتركيب ما يوهم في القراءة الأولى ما يشبه الانقطاع والانفصال بين موضوعاتها، علاوة على المفارقة الصوتية في فواصلها، وتباين الآيات في الطول والقصر، مما له دلالاته العميقة التي تحتاج إلى مزيد تدبر وتأمل في بناء هذه السورة الفريد الذي ضمّ هذا التنوع ليحفز المتلقي على استنطاق الرسالة الشمولية الكلية الساعية للارتقاء بالإنسان فردا ومجتمعا ليستكشف من خلال القراءة العميقة لكل تلك المفارقات أهم مرتكزات الحضارة القرآنية التي تُؤسس على الأخلاق، ومفارقتها للحضارات البائدة التي ترتكز على المادّة. وبتعبير آخر بين الحضارة القرآنية التي تستند على (الحِجْر)/ أي: العقل المنضبط بهدايات الرسالة السماوية، وبين الحضارة المادّية التي تستند على (الحجَر)/ في الإنشاء العمراني المادي.

ومن الممكن استجلاء صور المفارقة في السورة كما يلي:

- المفارقة في اسم السورة وعلاقته بالسياق.
- المفارقة في استعمال مفردات الزمن في مطلع السورة.
- المفارقة في استعراض أحوال الحضارات البائدة.
- المفارقة في عرض الجزاء في الدنيا.
- المفارقةالحوارية في عرض التصورات الجوّانية للإنسان في أسلوب خطاب الغائب.
- المفارقة الدلالية في عرض السلوكيات الجمعية في أسلوب الخطاب المباشر.
- المفارقة السردية في عرض اليوم الآخر، وحال الكافر والمؤمن.

• المفارقة في اسم السورة وعلاقته بالسياق:

لقد تُوّجت السورة باسم (الفجر)، وهو اسم ثابت توقيفي على المشهور الراجح من أقوال العلماء الذي يقرر بأن أسماء القرآن كلها توقيفية[٢٢]. ومن المأثور في كتب التفسير أنها تتطرّق لتفسير اسم السورة لغويا ثم تشرع في سرد معان مخصوصة في حال ورود أقوال مأثورة قيلت في شأنه،وهذا ما

٢١ التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣١١

٢٢ – يرجح الزركشي في برهانه توقيفية أسماء سور القرآن الكريم، ويستبعد الرأي القائل بأنها اجتهادية، وحتى في حال اعتبارها اجتهادية فإنه يرى أنها من المجالات التي يجدر البحث فيها والنظر. ومعنى توقيفية: أي أن الله تعالى هو الذي سماها بأسمائها ومن ثم نزل بها الروح الأمين على الرسول صلى الله عليه وسلم، والرسول – صلى الله عليه وسلم- أخبر الصحابة بها. وقد دعا نحوه السيوطي (٩١١هـ) في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) في قوله: "وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك". ينظر: البرهان للزركشي: ٢٧٠/١. والإتقان للسيوطي: ١/ ١٥٠-١٥١، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، د.ت.

يعطي لاسم السورة بعده المعنوي العميق مستدعيا قراءة تستجلي علاقته بكامل الخطاب، وتحاول الكشف عن الخيوط التي تربطه بكافة مفاصل السورة، للوصول إلى سرّ هذا التتويج بهذه المفردة الزمنية التي يفتتح بها اليوم في نواميس الوجود. في تفسير القرطبي فُسّر الفجر بأنّه: "انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم، قاله علي وابن الزبير وابن عباس رضي الله عنهم. وعن ابن عباس أيضا أنه : النهار كله، وعبر عنه بالفجر لأنه أوله."٢٣ وفي التحرير والتنوير، الفجر هو: "وقت ابتداء الضياء في أقصى المشرق، من أوائل شعاع الشمس، حين يتزحزح الإظلام عن أول خط يلوح للناظر".٢٤ وهو: "الوقت المبارك الذي تنتهي عنده الحالة الداعية إلى النوم الذي هو شبيه الموت. وهو ضوء النهار إذا انشق عنه الليل، مأخوذ من الانفجار، يقال: انفجر النهر ينفجِر انفجاراً : إذا انشق فيه موضع لخروج الماء : ومن هذا سمّي الفاجر فاجرا، لأنه خرج عن طاعة الله."٢٥

ومن الطريف أنّ العرب في لغتها تعبّر عن ظهور الفجر بالطلوع، فيقال: "طلع الفجر"، ولا يعبر عن نقيضه بذلك! فلا يقال: "طلع الليل"؛ وذلك لأنّ الفجر موافق لحركة النفس التي تتطلع للمأمول بصفته البدء والضياء والنور والحركة والأمل٢٦ وانبلاج الحياة بعد الموتة الصغرى، ويتناغم الخطاب القرآني المعجز مع هذه المعاني الكامنة في الفطرة البشرية في مواضع مختلفة، فيقول -عزّ من قائل-"والصُّبْحِ إذا أَسْفَرَ"٢٧، ويقول: "وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ"٢٨. و(أسفر)، و(تنفس) مفردتان يتمظهر فيهما معاني الظهور والحياة والبِشْر والبعث والكشف والحركة بصورة جلية لا يمكن إنكارها.

لم يقتصر ورود الفجر عنوانا للسورة بل ورد أيضا في مطلعها متلبّسا بأسلوب القسم (والفجر)،يتلوه القسم بنقيضه (وليال)في تشكلات لفظية متعددة المستويات. ولعلّ إيراد العنوان مرة أخرى في أسلوب القسم مع نقيضه يتضمن الإشارة إلى مفهوم التعاقبية التي سنها الله سبحانه وتعالى في الكون وفق قوانين ثابتة، فجعل من هذه الظواهر الكونية خِلفة لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكورا٢٩. ثم ينتقل الخطاب من القسم إلى خطاب مغاير مباشر للمتلقي الأول – صلى الله عليه وسلم- حاكيا له طرفا من قصص الحضارات البائدة

---

٢٣ تفسير القرطبي: ٢٠/ ٣٨.

٢٤ التحرير والتنوير: (٣٠/ ٣١٣.

٢٥ ينظر: زاد المسير في علم التفسير ٤/ ٤٣٧.

(٢٦)ينظر: الزمن في العربية ٤٢، جنان التميمي.

٢٧سورة المدثر: ٣٤.

٢٨سورة التكوير: ١٨

٢٩قال تعالى: " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا" الفرقان: ٦٢

المتعاقبة في أسلوب مفارق وهو أسلوب الاستفهام،ولعلّ ذكر الحضارات في هذا الموضع لا يبعد عن مفهوم (التعاقبية) أيضا، فكما يتعاقب الليل والنهار حضورا وغيابا، تتعاقب الحضارات علوا وانحسارا. وكما أن الفجر والليل محكومان بسنن الله وقوانينه، كذلك هي الحضارات الإنسانية. يقول تعالى: "وتلك الأيام نداولها بين الناس"٣٠، ويقول: "فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا"٣١. لذلك نجد في تسمية السورة بالفجر ما يشير إلى مفهوم البزوغ الحضاري من منظور قرآني، فلا يفتأ هذا الخطاب المعجز بربط التكوين الحضاري البشري بمعالم الوجود ونظامه التعاقبي الفريد المنظم المحكم، ليلفت الذهنية البشرية لتحذو بخطواتها في طريق يتناسق ويتناغم مع دورة الأفلاك، ونظام الكون القائم وفق قدر الله وسننه وقوانينه المصرفة لهذا الوجود المحكم. وقد قدّمت هذه المنهجية الحضارية في سورة الفجر في جملة من المفارقات لتكون خريطة فهم بليغة معبّرة عن السنن الكونية الحضارية في المنظور القرآني.

إنّ المتأمل في موضوعات السورة وتمفصلاتها يجد أنها تتكوثر لتصيغ شكلا جديد للحضارة الإنسانية عبر جملة من المفارقات اللفظية والأسلوبية في خطاب يستنهض إعمال (الحِجْر/ العقل)، لأنه الأداة الضابطة للأفكار والتصوّرات، والمسؤول عن ترتيبها ووضعها في موازينها الصحيحة، وهذه الأفكار والتصورات هي الأساس في بناء الحضارات باعتبارها الأساس المنتج للأفعال والسلوكيات الفردية والجماعية، ولا يمكن الاستئثار يعمل العقل البشري بعيدا عن الهدايات السماوية، التي تبين له الطريق وتحرسه من الطغيان والزلل.

- **المفارقة الزمنية في مطلع السورة.**

افتتح المطلع بالقسم، والقسم عند العرب هو خطاب لتوكيد الكلام وتقوية الخبر لدى السامع٣٢، وهو خارج عن نطاق التصديق والتكذيب؛ لأنه أسلوب إنشائي في عرف البلاغيين، فهو ليس حكاية عن الواقع، إنما إحداث مدلوله، أي أن المتكلم يطلب شيء من المخاطب غير موجود قبل الطلب٣٣، والأسلوب الإنشائي يكثر في الخطابات القوية الموجّهه إلى الوجدان والعاطفة سواء كان في نوعه الطلبي أو غير الطلبي.٣٤ وفي مطلع السورة يتعدّد المقسم عليه:(الفجر، ليال عشر، الشفع والوتر، الليل إذا يسر)،وقد علل المفسرون تعدد

٣٠سورة آل عمران: ١٢٠.

٣١سورة فاطر: ٤٣.

٣٢ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٧٤.

٣٣ينظر: أثر بناء الجملة الإنشائية في توجيه المعنى في سورة مريم، علي المحنا وسيروان الجنابي، مجلة جامعة الكوفة وآدابهاع١٤، ١٠٩-١١١ جامعة الكوفة كلية الآداب ٢٠١٢م.

٣٤ينظر: السابق: ١١٠

المقسم عليه بأنه : (للتشويق)٣٥، وبشيء من التأمل يدرك القارئ بأن المقسم عليه في مجمله قد تناول مفردات لا تخرج عن نطاق الزمنية بمفارقات عجيبة، إذ تتجلى هذه المفارقات في تعدديتها ثم تنتهي بمفارقة أخرى وهي غياب جواب القسم!

وبشيء من التوضيح لمستويات المفارقة في المطلع القسمي، نعرض الجدول التالي:

- {**والفجر وليال عشر**}

الفجر: معرفة	ليال: نكرة
الفجر: مفرد	ليال: جمع
الفجر: مفرد من ناحية التركيب	وليال: مضافة لعشر
الفجر لفظة مقدمة في الذكر	ليال:لفظة متأخرة في الذكر

وعلى اختلاف آراء المفسرين في تخصيص الفجر المذكور في الآية أوتخصيص الليال، فإنّ ما يهمّنا هو المعنى الكامن في اللغة المفارقة في تركيب الأسلوب القسمي في المطلع ، وتعدد مستوياته التي نوجزها في التالي:

أولا: مفارقة التعريف والتنكير؛ حيث جاء المقسوم الأول (الفجر) مفردا مُعرّفا، وجاء نقيضه (ليال) جمعا منكّرا، وللنّحاة منظومة معرفية في رؤيتهم للمعرفة والنكرة تستند في معظمها على دلالة (الشيوع والتعيين)٣٦. أي الشيوع في النّكرة، والتعيين في المعرفة، وللتعريف في (الفجر) قيمته االتواصلية، فالتعريف هو: "القصد إلى شيءٍ بعينه ليعرفه المخاطب كمعرفة المتكلم به، فيتساوى المتكلم والمخاطب في ذلك"٣٧. لذلك اكتسب قوة دلالية على نظيره "ليال عشر". فكأن التعريف في الفجر يشتمل على إشارة ضمنية للمنظور الحضاري في الرؤية القرآنية وأنه متعيّن مخصوص مميز، بينما كانت مناهج الحضارات الغابرة، متعددة ومتشعبة ومعتمة. وهنا تظهر رمزية الفجر المتعين المتفرّد وتعددية الليالي وشيوعها في ثنائية مفارقة تقف بين النور المتعيّن في منهج القرآن/ والظلمة المتعددة في الحضارات الغابرة. ويجد القارئ ما يماثل هذا المعنى في مواضع أخرى من القرآن الكريم، يُحال فيه الجمع إلى (الظلمات)، والإفراد في (النور)، فيقول عز من قائل: "اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ"٣٨،

٣٥ التحرير والتنوير: ٣٠/٣١٢.

٣٦التعريف والتنكير في اللغة العربية- مقاربة تداولية. عبد الزهرة عودة جبر، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، مج ١٦، ع ٣١، جامعة ميسان- كلية التربية الأساسية، (٢٥٥-٢٤٠)، ٢٠١٧م.

٣٧ السابق: ٩ /١١٢.

٣٨البقرة: ٢٥٧

ثانيا- المفارقة في الإفراد والإضافة، حيث وردلفظ الفجر مفردا من حيث التركيب : "والفجر"، بينما أضيفت (ليال) إلى (عشر) إضافة تخصيص . ولو تأملنا دلالات ورود العدد (عشرة) في القرآن الكريم؛ لوجدناه لا ينفك عن دلالة الاستيفاء والتمام والوفرة والكثرة. يقول تعالى: "تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ"٣٩، ويقول: "مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا" ٤٠، ويقول: "وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ"٤١، ويقول: "فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ"٤٢. وفي لغة العرب يتعالق هذا المعنى مع سياق الذهنية العربية في الدلالة الرمزية للرقم عشرة ودلالته على الوفرة والاستيفاء والكمال كما قال امرؤ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي ... بسهميك في أعشار قلب مقتلِ

أي ما بكيت إلا لتصيدي قلبي بسهمَيْ دمع عينيكِ لتجهزي على قلب مقطع إلى عشرة قطع. وفي ذلك دلالة على إتمام الإجهاز على العاشق المكلوم. وذكر الخليل أيضا أنه يقال لجفن السيف مكسّرا أعشار، للدلالة على استيفاء القوة وأنشد:

وقد يقطع السيف اليماني وجفنه ... شباريق أعشار عثمن على كسر٤٣

لنصل بعد تلك الشواهد إلى جملة من المعاني الدلالية التي أفادها التركيب الإضافي بإضافة عشر إلى (ليال) المنكّرة لإيصال رسالة تفيد بأن الظلام الذي يسبق بزوغ فجر الحضارة العامرة لا بد يستكمل عدّته ويستوفي مدّته، وتشتدّحلكته قبل فزوغ فجر النصر والتمكين للحضارة العامرة، ولن يتحقق معنى الفجر وقيمته ووجوده إلاّ بمكابدةظلمة الليال، والقيام بواجب المجاهدة. والسعي الدؤوب والعمل المتواصل في تحري الحقّ والسير على منهج الله مع الوثوق الكامل واليقين الراسخ ببزوغ الفجر والضياء بعد عتمة تلك الليال. ونجد أن هذا المعنى الطريف لا يتناشز مع خصوصية الدلالة التي ذكرها المفسّر ونفي تخصيص الفجر بيوم النحر/ عيد الأضحى، أو يوم الفطر/ عيد الفطر، فهذه الأيام المخصوصة بإشراقها وبريق أنوارها وأفراحها هي أيام عيد تأتي على المؤمن كجائزة بعد مكابدة العبودية في الأيام العشر٤٤ أو الليال العشر٤٥؛ ففي كليهما يتجلى فجر العيد الذي يمثل يوم الجائزة،

---

٣٩ البقرة: ١٩٦

٤٠ الأنعام: ١٦٠.

٤١ الأعراف: ١٤٢

٤٢ القصص: ٢٧

٤٣ ينظر: مقاييس اللغة: (٤/ ٣٢٦)

٤٤ يرجح العلماء بأنها الأيام العشر الأولى من ذي الحجة، وورد أنها أفضل أيام العام؛ ينظر التحرير والتنوير: ٣٠/٣١٣.

٤٥ من أقوال العلماء أنها قد تكون الليال العشر الأخيرة من رمضان، ينظر : تفسير القرطبي: ٢٠/٣٩.

يوم الفرح المدوي بالتكبير والتهليل والتحميد على انتصار الروح، حين استنفرت الطاقات بالعمل في الطاعات وضبط الشهوات والرغبات وتربية النفوس لاستحقاق يوم الجائزة. ولن يتحقق معنى العيد حتى تتخطى النفس هذه الحلقة من المكابدة والرباط والعمل وبذل الطاقات في مواجهة الذات في الظلمات.

ومن الطريف والجدير بالذكر أن مفردة (الفجر) في السورة مشاكلة لمعنى (الفرَج) من باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني٤٦، حيث تتكوثر حولها معاني الفوز والظفر، فهي تمثل البداية أو المطلع ليوم الجائزة للعاملين السّاعين بمنهج الله القويم في بناء الحضارات التي تقوم على الأخلاق والفضائل ونبذ الظلم والطغيان مما يوقعها في مبارزة مع النفس والأهواء أولا، ثم مع أصحاب المبدأ المادي الصرف البعيد عن روح الإنسان ثانيا. واقتران الفجر بالفرج يتضمن معنىً ليس بالجديد؛ فقد تواتر في الخطاب القرآني اقترانه بالظفر والنجاة، يقول تعالى في سياق قصة لوط : "إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب"٤٧ ، حيث جاء الصبح مبشّرا بالنصر للحق وأهله، وقد أصبحت الآية مضرب مثل يقال في كل ما دلّ على الفرج المرتقب القريب. وفي مواضع أخرى يقول تعالى: "وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ"٤٨، ويقول:"فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ"٤٩ ويقول: "فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ"٥٠، ويقول: " فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا "٥١ وفي جميع تلكم المواضع نلمح جليا ارتباط الصبح بالغلبة والظهور والفرج والانبلاج بعد الشدة والكرب.

- **"والشفع والوتر"**

يأتي القسم بالشفع والوتر تاليا للفجر والليال، وقد تعدّدت أقوال المفسرين بمراد الله منهما، وأظهر الأقوال وأكثرها تواترا أنّ الشفع دالٌّ على معنى الزوجية والوتر دالٌّ على التفرّد، والقاعدة الكونية قائمة عليهما أي على الثنائية والتفرد في مظاهرهما الحسية والمعنوية: "وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"٥٢، أي الشيء ونظيره سواء كان في الخلائق الحسية أوالمعاني المجردة، يقول الخازن في تفسيره:

٤٦وسماه ابن جني في كتابه الخصائص: بالاشتقاق الأكبر: والتصاقب في الاصطلاح: هو تقارب الألفاظ لتقارب المعاني، الخصائص: ٢/١٥٨.

٤٧سورة هود: ٨١

٤٨سورة القمر: ٣٨.

٤٩سورة الصف: ١٤

٥٠سورة الأعراف: ٧٨.

٥١سورة العاديات: ٣

٥٢سورة الذاريات: ٤٩.

"الشفع هو الخلق، والوتر هو الله تعالى. يُروى ذلك عن أبي سعيد الخدري، وقيل الشفع هو الخلق كالإيمان والكفر، والهدى والضلالة، والسعادة والشقاوة، والليل والنهار، والأرض والسماء، والشمس والقمر، والبَر والبحر، والنور والظلمة، والجن والإنس. والوتر هو الله تعالى، وقيل الخلق كله فيه شفع وفيه وتر. وقيل: هما الصلوات منها شفع ومنها وتر. وعن عمران بن حصين رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر قال: هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر"٥٣.

واللافت في النص السابق أن تفسير الشفع والوتر لم يخرج عن خط الزمنية المتصل بالأسلوب القسمي المتعدّد، محققا الانسجام مع مفردات القسم الأخرى، فقد ورد أن المقصود بها الصلوات الخمس؛ فمنها ما هو شفع ومنها ما هو وتر، وكأن القسم بهما يشير إلى صلاة الفجر: شفع/ بداية الضياء، وإلى صلاة المغرب : وتر/ بداية الظلمة، وفي هذه التعاقبية تُختبر البشريّة في خطّ سيرها نحو العمار والإعمار.

- **" والليل إذا يسْر"**

وهو آخر تراكيب القسم الزمنيةحيث ختمت بالقسم بالليل مفردا معرّفا مقيّدا بظرف دال على الارتحال والزوال: "إذا يَسْر": أي الليل حالة سريانه وانقضائه ٥٤، والنّفس تتوق إلى ذلك، فهي تسكن في الليل بأمل طلوع الفجر، وتتعزّى في الليل بإضمارالفأل بسريانه وانقضائه، فما من ليل يَغشَى إلا ويعقبه فجرٌ يبزغ. ويتعزز هذا المعنى بقوله تعالى في سورة المدّثر:"وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ"٥٥، ما يؤكد انسجام هذا الوصف مع حركة النفس وفطرتها الّتي تترقب زوال الليل وسريانه وإدباره ليبزغ الفجر على الكون بضيائه وانفراجه.

- **" هل في ذلكَ قسم لذي حجر" ؟؟**

يغيب جواب القسم في مفارقةٍ جديدة، لينتقل الخطاب إلى أسلوب إنشائي آخر وهو الاستفهام:"هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ؟": وهنا تحصل المفارقة في دلالة الاستفهام، وفي خروجه عن غرضه الأصليً من طلب الفهم إلى دلالة تقريرية تثير عقل المتلقي، ومعناه : هل يجد المقسَم له في هذا القسم ما هو كاف كي يتدبر المعنى بعقله؟ فالحجْر هو : العقل، "والعرب تقول للرجل إنه لذو حجر إذا كان قاهرا لنفسه حافظا لها ٥٦. وسمّي الحِجر عقلا "لأنه يحجر صاحبه عن ارتكاب مالا ينبغي، يماثله تسمية العقل بهذا الاسم المأخوذ

٥٣لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ٤٢٣)

٥٤ينظر : تفسير الخازن، ٢٤١/٧. وتفسير ابن كثير: ٣٨٤/٨.

٥٥ سورة المدثر آية: ٣٣.

٥٦ الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، ٧٤٥هـ، تفسير البحر المحيط، (٨: ٤٦١)، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين،ط١ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠١م

من عقال الدابة ؛ لأنه يعقل صاحبه عن التهافت كما يعقل العقال البعير عن الضلال"٥٧، ويقول الراغب : "قيل للعقل حِجرٌ، لكون الإنسان في منعٍ مما تدعو إليه نفسه".٥٨ وتستوقفنا دهشة اختيار مفردة (الحجر) بدلا من (العقل) واختياره من بين بدائل أخرى واردة في مواضع متفرقة من القرآن الكريم، كـ(اللبّ٥٩، والحلم٦٠، والفؤاد٦١، والنُّهى٦٢، والقلب٦٣)؛حيث لم ترد لفظة (الحجْر) مرادفة للعقل إلا في هذا الموضع من السورة، مما يدعو إلى قراءة سياقية دلالية للآيات لاستشفاف سرّ هذا الاختيار ومدى ملاءمته لسياقه وفضاءاته، حيث ينتقل السياق بعده مباشرة إلى خطاب استفهامي مباشر للمتلقي الأول – صلى الله عليه وسلم - : تُستذكر فيه أحوال حضارات بادت في التاريخ الأول للبشرية : " ألم تر كيف فعل ربك بعاد"؟ لتمثل انطلاقة جديدة في تناول مفارقات دلالية تحمل سردية تحكي عن حضارات أُغفلت فيها القيم الأخلاقية وارتكزت دعائمها على العمران المادي الحجري، فكأنّ ذكر (الحِجْر)مقابل (الفجْر)، هو تجانس لفظي يحمل مفارقة دلالية تتقابل فيها الأسس القرآنية للبناء الحضاري، والأسس المادية لتلك الحضارات. ومن خلال هذه المفارقة تتكشّف أبعاد البناء الحضاري الرشيد الذي يحمل الرخاء والاستقرار الحقيقي للإنسانية ونقيضه، متضمنا رسالة التصحيح لما اعوجّ من الفكر الإنساني حينما أغفل الروح في تلك الحضارات وأقام العمران بعيدا عن هدايات الرسل والرسالات السماوية فتمركزت حضارتها على إقامة البنيان فأشقت الإنسان.

- **المفارقة الوصفية في إستعراض الحضارات الغابرة:**

" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ (7)الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8)وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا ٱلصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10)الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11)فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12)فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13)"

يجد المتأمل لهذا التركيب الاستفهامي "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ" مفارقات على عدة مستويات:

- أولا المفارقة في العدول عن غرض الاستفهام الحقيقي؛ من طلب الفَهم، إلى غرض التقرير المضمّن بالدعوة إلى التدبر والتبصّر في المآلات، وتوجيه

٥٧ التحرير والتنوير: ٣٠ / ٣١٦.

٥٨ الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن،٢٢٠، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٩م)

٥٩سورة طه: ١٢٦

٦٠سورة الطور: ٢٣

٦١ سورة الملك: ٢٣.

٦٢سورة طه:٥٤.

٦٣سورة محمد: ٢٤.

الذهن إلى مسار مختلف يعاد فيها تشكيل الحضارات لتكون وفق المنظور القرآني، والرؤية القرآنية في قوله : "ألم تر" هو استفهام عن (الرؤية) تحمل مفارقات دلالية عن المراد بها : هل هو استفهام عن الرؤية العقلية اليقينية أم الرؤية الحسّية البصرية؟ يقول ابن عاشور في تفسيره : "والرؤية في " ألم تر": يجوز أن تكون رؤية علمية تشبيها للعلم اليقيني بالرؤية في الوضوح والانكشاف؛ لأنّ أخبار هذه الأمم شائعة مضروبة بها المثل فكأنّها مشاهَدة، والتأويل الثاني : أن تكون الرؤية بصرية، والمعنى: ألم تر آثار ما فعل ربك بعاد؟"٦٤. كما يحتوي الخطاب على مفارقة أسلوبية أخرى تتمثل في العدول عن مباشرة الخطاب، فلم يقل: (ألم تر كيف فعلتُ)، فعدل عن مباشرة الخطاب إلى خطاب غائب" فعل (ربُّ + ك) إشعارا للمخاطب بالولاية والرعاية والتأييد الكامنان في وصف الربوبية، والمضافة إلى كاف الخطاب(ربك)"٦٥ للتدليل على مزيد عناية بالمخاطب وكفايته وحمايته من أي طغيان محتمل من قومه الذين عادوه وكذبوه. ويبتدئ الخطاب بقبيلة عاد التي كانت رمزا لحضارة متجذرة قوية في التاريخ ولها إرث ومجد، من نسل الجد الأول في قبيلة عاد بن عوص بن إرم، في مجتمع قبلي التحم أفراده بدم النسب المتناسل من الجد (إرم)٦٦. ولذلك عبّر عنها بـ(ذات العماد)؛ فدلالة التأنيث في (ذات) إشارة إلى القبيلة، أي : قبيلة عاد٦٧. لترشح الصيغة بمعنى التماسك القوي القائم على القبلية التي كانت سرّ وحدتها وقوتها وبأسها، كما أن إضافتها لـ (العماد) يتضمن قوة استعارية تؤكد قوتهم وشدة تماسكهم، "فالعماد هو العود الغليظ الذي يقام عليه البيت ويركز في الأرض وتقوم عليه الخيمة ويسمى دعامة، وهو معنى مستعار شائع في معهود كلام العرب في تشبيه القوة والتماسك بعماد البيت، وقيل إن مفردة العماد تشير إلى صريح لفظها المعنيّ بالإنشاء العمراني المادّي تصويرا للأبنية التي كانت تنشئها قبيلة عاد عبثا وخيلاء لتكون أعلاما تدل المسافرين عليها، وقد استنكر هذا الترف العمراني في مواضع أخرى من القرآنِ : أَتَبْنُونَ بِكلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكمْ تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ"٦٨ وقيل إن المقصود بالعماد هو الإشارة إلى خلقَة أجسادهم ووصفها بالطول والقوة والضخامة فيما أثر عنهم : "فقد كانوا أشدّ الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشا، فقال عنهم المولى: "واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم

٦٤ ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/٣١٨.

٦٥ ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠ / ٣١٨ .

٦٦ ينظر التحرير والتنوير: ٣٠/٣١٩.

٦٧ السابق.

٦٨سورة الشعراء: ١٢٨-١٣٠.

نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله.."٦٩. وتمتد الدّهشه في وصف هذه القبيلة وحضارتها في قوله تعالى : "التي لم يخلق مثلها في البلاد" فهذه الحضارة قد بلغت سابقة لم تبلغها سواها من الحضارات، وفي هذا وصف إلهي بالغ التكثيف والتأثير يحمل من غزير المعنى وعظيم الوصف ما يغني عن التفصيل والذكر.

- ثم ينعطف الخطاب بعدها إلى ذكر حضارة قوم ثمود الذين استوطنوا الجبال العالية المحاطة بالأودية، واحترفوا نحتها بتحويلها إلى مساكن ومآوٍ فارهة آمنة غدقة، وتتكشّف المفارقة بالتعبير عنهم بالصبغة الجمعية : " الذين جابوا .."بوصفهم بالاسم الموصول (الذين) خلافا لعاد التي وصفت بالمفردة المؤنثة (ذات)، وهي مرتبة أدنى من الحضارة الأولى، فمنبع قوتهم اقتصرٍ على اجتماعهم على جوب الصخر ونحته لإقامة المآوي الفارهة والتمكن من تعبيدها في وسط الوادي الغدق. وأخيرا ينعطف الخطاب لذكر حضارة ثالثة بائدة وهي الحضارة الفرعونية التي عبر عنها بالصيغة الفردية (ذي) في قوله تعالى: "وفرعون ذي الأوتاد"، ولعلها مرتبة حضارية أدنى من الحضارتين السابقتين حيث تغيب عنها الصبغة الجمعية وتنحصر في شخص الفرعون، فهي حضارة الرأي الواحد المستبدّ، فالوصف قام على الاسم الموصول (ذي) العائد على شخص فرعون الذي نصّب نفسه إلها على أهل مصر، واستأثر بمصائر العباد وثروات البلاد، ويؤكد هذا المعنى ما ورد في مواضع أخرى من القرآن على لسان الفرعون: "يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي.." وقال :"ونادى فرعون في قومه قال ياقوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون"٧٠.
- وقد تعددت الأقوال في معنى(الأوتاد): فهي إما مستعارة لجنوده الذين استعملهم لتوطيد وترسيخ دولته، أو هي وصف مادي مستعار للتعبير عن قوة التمكن مثلها مثل التعبير بـ(ذات العماد) في حضارة عاد، حيث الأوتاد هنا تشير إلى بناء الأهرامات٧١ وسماتها القوية المرتكزة على الأرض بمهارة عجز الإنسان في العصر الحديث عن الإحاطة بكافة أسرارها.
- لم يتوقف الخطاب عن السرد الوصفي عبر أسلوب الاستفهام التقريري، ولكنه وصف مفارق معجز؛ حيث ينتقل الوصف السردي لتلك الحضارات من الفضاء العالي إلى نقيضه الهابط محدثا خرقا للتوقع خالقا رؤية جديدة لتلك الحضارات المجيدة تحت عدسة القرآن وميزان القرآن،

٦٩ ينظر: تفسير ابن كثير: ٦١٦/٤.

٧٠سورة الزخرف: ٥١.

٧١ينظر: التحرير والتنوير: ٣٢١/٣٠.

ومنظور القرآن؛ ليرسّخ حقيقة مفادها: أن تلكم الحضارات وإن كانت قد بلغت المجد علوّا وعمرانا، ولكنها في ميزان الله بلاوزن، ولا قيمة.

- يقول تعالى متابعا الوصف : "الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد"
- فبعد الوصف السردي العالي و النبرة الصاعدة في وصف هذه الحضارات السالفة يفاجئنا الخطاب بمفارقة وصفية تهبط بها إلى سافل الدركات تتقدمها أسباب أو علامات لهذا الهبوط والتسافل الكامن في الوصف من خلال إبراز عاملين أخلاقيين لتلك الحضارات وهما:
  - ✓ الطغيان في البلاد : " الذين طغوا في البلاد".
  - ✓ الإكثارمن الفساد :"فأكثروا فيها الفساد".

ويجد المتأمل في مفارقة في الوصف لتلك الحضارات، وانتقالا سريعا من (وصف الفضاء العالي ماديا) إلى (وصف الفضاء المتسافل أخلاقيا) في ذات الأسلوب الاستفهامي المتتابع، ليبرز التموضع الحقيقي تلكم الحضارات في ميزان الرؤية القرآنية.

- **"الذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد"**

في الآيتين يتواتر فعلان يتشاكلان في الدلالة على معنى الزيادة في الفعل (طغوا) و(أكثروا)؛ فالطغيان في أصله هو : مجاوزة للحد في العصيان٧٢. والفساد : شامل لكل معنى يقف على النقيض من الصلاح، وكما أن الصلاح يتناول جميع أنواع البر فكذلك الفساد يتناول جميع أقسام الإثم٧٣. وكأن الفساد كان محصلة للطغيان ونتيجة له فأتى معقبا به، واللافت في الخطاب أنه لم يقل : فأفسدوا ولكن قال (فأكثروا) ما يجعل هذا الفساد مشاكلا للطغيان في التجاوز والإفراط الذي كان سببا لهلاكهم وزوالهم. وكأن الخطاب من خلال هذا الوصف يؤسس لقاعدة حضارية تقرر بأنه حيثما يجثم الطغيان في حضارة ما؛ فإن الفساد فيها ناخر متكاثر منذر بالخراب والفناء لا محالة. وهو قانون كوني تواتر ذكره في الخطاب القرآني والأثر النبوي كقوله تعالى: "وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا٧٤". وقوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين: " وَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ".

وقد ينشأ سؤال عن الفئة المستضعفة التي لم تنل حظوتها من العلو في تلك الحضارات الطاغية، والتي يقع عليها الظلم عادة هل تهلك مع الظالمين المفسدين؟! ما ذنبها وهي تجتر العذاب مرتين ؟! هنا يؤسس الخطاب تأصيلا

٧٢مقاييس اللغة: ٤١٢/٣.

٧٣ ينظر: تفسير الخازن - الفكر (٧/ ٢٤٤)

٧٤سورة الإسراء: ١٦.

للحضارة القرآنية التي يقودها الإنسان الحرّ أخلاقيا، والذي عليه أن يقاوم الظلم والطغيان والفساد في نفسه، وفي الآخر ولا يتبنى موقف العاجز اليائس؛ لأن الطغيان إذا استشرى وانتشر عمّ فساده على الظالم والمظلوم والقوي والضعيف والمستكبر والمستضعف، فيحق الهلاك على الجميع في غياب الفئة المصلحة الساعية لبسط العدل. إن مرض الطغيان موجب للفساد ويقود البشرية إلى الهبوط والتسافل مهما علا العمران وتطاول لأنه يقض أهم أركان الحضارة الراشدة الموجبة للحرية والكرامة الإنسانية، فالطغيان واستمراء الظلم سواء من الظالم أو المظلوم يشوّه الداخل الإنسانية والفطرة السوية في الفرد والمجتمع؛ لأن الظالم يسلب حق المظلوم بحكم القوة، فيظن المظلوم أن السلب حق طبيعي للأقوياء فيرضخ، ويهدر إنسانيته في قالب التمني الدائم أن يكون يوما ما من الأقوياء ليحصل على ما حصلوه، فيستسيغ التذلل للقوي وهو عبد مثله، ويتصاغر له، وقد يتحول إلى أداة من أدوات الظالم التي يستعملها في البطش بآخرين وسلب حقوقهم فيستشري هذا الفساد الأخلاقي وينذر المجتمع بالهلاك الأخلاقي٧٥.

- **المفارقة الدلالية في عرض الجزاء:**

يقوال تعالى: " فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ":

تظهر هنا المفارقة جلية في طريقة إنزال العقاب على تلك الحضارات، حين جُمع بين (الصبّ) و(السوط). فالصبّ : هو إفراغ ما في الظرف، وهو مختص ومستعار لحلول العذاب دفعة واحدة كما يصبّ الماء على المغتسل أو يصب المطر على الأرض، للدلالة على السرعة، والكثرة والمفاجأة والإحاطة٧٦، وكل ألوان العذاب النازلة على تلك الحضارات كانت تتسم بأنها كانت مفاجئة وقاضية وسريعة ومحيطة بهم جميعهم سواء كانت ريح عاد، أو صيحة ثمود، أو إغراق فرعون وقومه. وإن اختيار (السوط) ليكون معمولا لفعل (الصبّ) وإفراده يحمل مفارقات دلالية؛ لأنّ السوط يُستعمل للضرب به، والصب يستعمل للماء وماشابه، فينتبه القارئ بوجود مفارقة معنوية بينهما لنخلص بأن اختيار مفردة (سوط)، للتعبير عن العذاب الشديد المحيط بهم والمستأصل لشأفتهم في الدنيا ماهو إلا سوط واحد فقط من سياط عذاب الله، وللتنبيه بأن ما سيواجهونه من العذاب في الدار الآخرة سيكون أدهى وأمر٧٧، فالسّوط هو: آلة ضرب، تُتخذ من جلود مضفورةتضرب بها الخيل للتأديب، أو لتحثها على السير٧٨. وتصوير الخطاب لذلك العقاب الأليم -

---

٧٥ ينظر: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرحمن الكواكبي،ص١٥٠.

٧٦ ينظر: التحرير والتنوير، ٣٠/ ٣٣٢.

٧٧ قال تعالى: "بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ" سورة القمر: ٤٦.

٧٨ التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٣٢. ويقول أيضا في السوط: " واصلُهُ الحَلْطُ، وإنَّما سُمِّيَ هَذا الجلْدُ المَضفُورُ الَّذي يَضربُ بِهِ بِكَوْنِهِ مَخلُوطَ الطَّاقاتِ بَعضها بِبَعضٍ، وإلَّا لَهُ يَخلِطُ اللَّحمَ والدَّمَ، وشَبَّهَ بالسَّوطِ ما أحلَّ بِهِم في الدُّنيا إشعاراً بالتَّزجيرِ والتَّحْذيرِ إلى أنَّ يَحْذَرُ المُعَذَّبُ بِهِ وإيذاناً بأنَّهُ بالقياسِ إلى ما أعَدَّ لَهُم في الآخرَةِ كالسَّوْطِ إذا قِيسَ إلى السَّيْفِ، هَذا سَوطُ الدُّنيا وسَيفُ الآخرَةِ أعَدَّهُ واحِدٌ وأمضى"

الذي اجتاح تلك الحضارات جميعها واجتثها من الحياة وجعلها أثرا بعد عين - في صورة الضرب بالسوط يحمل مفارقة دلالية أخرى، إذ الضرب بالسوط يحمل في أصله البسيط دلالة (العقاب التأديبي)، فأين مكمن التأديب وقد هلكت تلك الأقوام وبادت؟ وهنا يحمل الخطاب حمولة دلالية مفادها الذكرى والاعتبار بحال تلك الحضارات وما آلت إليه، وبالتالي يحمل معنى التأديب للمتلقين لهذا الخطاب الممتد، لتقرأه الأجيال المتعاقبة ترسيخا لهذه السِّنّةِ الإلهيةِ في ذاكرة البشرية التي لا تتبدل ولا تتحول : " سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا".إنه سوط تأديب رسالة يحملها الناجين من ذاك العذاب ليذكروا به غيرهم، ورسالة اعتبار وتأديب للأجيال المتعاقبة التي تتلقى هذا الخطاب بأنها محكومة بقوانين الله التي لا تتبدل في أي زمان ومكان.

- **المفارقة الحوارية في رصد التصورات الجوّانية في أسلوب خطاب الغائب[٧٩]:**
- **" فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ. وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ"**

ينتقل الخطاب في مفارقة جديدة بعد خطاب الوصف لحضارات حقّ عليها العذاب، ليبين الأساس في ذلك الانحدار الأخلاقي لتلك الحضارات، فيعرض لنا جانبا من الخطابات النفسية الداخلية الكامنة في لا وعي الإنسان الفردي في أحوال ثنائية مفارقة عبر تقنية سردية حوارية تسمّى سرديا بالمونولوج أو تيار الوعي[٨٠]. وهوخطاب لاينفصل عن سابقه بل يغوص في أعماق النفس الإنسانية ويستنطق أفكارها وتصوراتها الجوانية لما لها من أهمية كبيرة وخطيرة في تشكيل السلوك الإنساني، بل إن عالم الأفكار والتصورات هي الأساس الذي تنطلق منه الحضارات الإنسانية،وحين ينحرف الخطاب الجواني المتشكل من الأفكار والتصورات الفاسدة، فإن فساده سيظهر حتما على السلوكيات والأفعال المؤثرة على العلاقات الجمعية. لقد كان الخطاب مشتملا على عدة مستويات مفارقة، بدءا من الحيّز الخطابي الذي احتله الخطاب، فالآيتان المعبرتان عن التصورات الداخلية هي أطول آيات السورة، وثانيا: تكمن في موضعها من الخطاب، حيث شغلتا الجزء الأوسط من السورة في منتصفها أومكان القلب منها[٨١]، و في ذلك لفتة مدهشة تنبّه بأن الإنسان هو أساس إنشاء الحضارات، وتصحيح مسارها كامنٌ في تصحيح الأفكار والقناعات الداخلية لكل فرد : "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"، وأن العنصر الجواني الروحي مقدّمٌ على البراني المادي، وفي ذلك

٧٩ جوانيّ الشيء:باطنه، وضدّه البراني. وفي حديث سلمان: "إن لكل امرئ جوانيا وبرانيا، فمن أصلح جوانيها صلح الله برانيه". المعجم الوسيط:١٤٩

٨٠ينظر: معجم السرديات: ٤٣٢ مادة (مونولوغ).

٨١ السورة من ٣٠ آية والآيات المعبرة عن الخطاب الجواني هما في المنتصف تحديدا : الآية ١٥، ١٦.

إشارة صريحة بأن بناء الأفكار والعقائد الداخلية لا بدّ أن يكون سابقا على بناء المنشآت المادية المحسوسة، وأن (الإنسان) لا يمكنه أن ينفرد في تشكيل تصوراته الداخلية وتفسيراته للأحداث الكونية من حوله بمعزل عن الهدايات السماوية التي جاءت بها الرسالات والكتب السماوية. وقد يطرأ سؤال : هل هذا يقود إلى القول بأن الإنسان بمفرده عاجز عن تكوين وخلق الأفكار المشكلة للحضارات الراشدة؟ والجواب : هو نعم، إن الإنسان يعجز عن تكوينها منفردا؛ لأنه المنزع الطيني الذي تشكل منه ارتبطت به الكثير من الغرائز والطبائع والأهواء التي قد تحيد به عن الطريق، أو قد تنحرف به عن الجادة؛ فلا يتمكن من توظيفها بالشكل الصحيح إلا بضوابط الهدايات الربانية والرسالات السماوية. لقد وُصف الإنسان في القرآن بأنه ظلومٌ جهولٌ كنودٌ كفور جحودٌ وهلوع ومنوع٨٢، فلابد إذن من التصحيح الداخلي للأفكار والتصورات حتى تنجلي غشاوة الظلمة عنها، عرضها الخطاب في صبغة حوارية داخلية نستجلي أسرارها في قراءة أسلوبية لنقف على مستويات المفارقة العجيبة في هذا الموضع:

يقول تعالى: " فأما الإنسان"، و(أمّا) في لغة العرب تأتي لتفيد معنى التفصيل والتوكيد٨٣، بأن(الإنسان)٨٤ يتملكه تصوران خاطئان في حالان متضادان هما : (حال الوفرة وحال التقتير) ، بارتباطهما بمفهومي (الكرامة والمهانة)، وأن هذا الربط هو منشأ الخلل الكبير وبداية الانحراف الذي جرّت ما بعدها من التبعات الوخيمة والانحرافات التي تسببت في خلخلة التشكيل الحضاري في صورته القويمة. وأتى الخطاب بهذا التفصيل ليعيد تأسيس مفهوم جديد هو مفهوم : (الابتلاء)، سواء في حصول النعمة أو الحرمان منها، ف (الابتلاء) بتواتر ذكره في الحالين، وورود في المشهدين جاء ليرسّخ حقيقة في غاية الخطورة في تشكيل اللاوعي الإنساني الفردي بوجوب اعتقاد ينصّ بأن (الوفرة المادية أو الحرمان هما ابتلاءان منفصلان تماما عن استحقاق الكرامة أو المهانة)، ويؤكد بأن(ليس كل معطىً مكرّم عند الله، وليس كل محروم مهان)؛لأن هذا التصوّر فيه طعن في ميزان العدالة الإلهية واختلال كبير في التصور والمعتقد، مما له انعكاساته الهدّامة على الحِجْر/ العقل الجمعي، وما يتبعه من سلوكيات جمعية لها أثرها في صياغة الواقع الحضاري بميزان مختل أعوج. وهنا تكمن القيمة التواصلية بين (الفجْر/ الإشراق الحضاري)و(الحِجْر/ العقل المهتدي)، وتتلخّص هذه القيمة بأن التغيير لابد أن يكون جوّانيا قبل أن يكون برانيا، وأن يبتدئ بعالم التصورات

٨٢ دلالة الأوصاف السلبية المعنوية المقترنة بلفظ الإنسان في القرآن الكريم. آلاء محمد صبحي سرحيل. مجلة جامعة الشارقة والدراسات الإسلامية ، المجلد: ١٨، العدد: ١، ٢٠٢١م، (٦٦٥-٦٩١).

٨٣ينظر: مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري:١/٦٧، وتفسير التحرير والتنوير٣٠/٣٢٨.

٨٤ يقصد به الإنسان الضال، أو المشرك أو الكافر. ينظر التحرير والتنوير ٣٠/٣٢٦،٣٢٧.

والأفكار قبل أن يكون في عالم الأشياء، بل إن المحتوى الجواني هو الأساس في حركة التاريخ ٨٥، " فحركة التاريخ تتميز عن غيرها من الحركات الأخرى بأنها غائية لا سببية فقط، بمعنى أنها ليست مشدودة إلى سببها أو إلى ماضيها وحسب، ولكنها مشدودة أيضا إلى الغاية، لأنها حركة ذات علة غائية متطلعة إلى المستقبل. والمستقبل هو المحرك لأي نشاط من النشاطات التاريخية ويتحرّك من خلال الوجود الذهني الذي يتمثل فيه هذا المستقبل، فالوجود الذهني إذن هو الحافز والمحرّك والمدار لحركة التاريخ"٨٦، لذا تكمن ضرورة وأهمية تصحيح عجلة التصورات لتكون المنطلق لما بعدها، فإذا انحصرت في بوتقة المادية باعتبار أن الحصول عليها سموا وكرامة، وأن الحرمان منها ذلا وانحطاطا، تتحول الوفرة المادية إلى بؤرة محرّكة للطاقات الفردية والجمعية، وهو السبب المؤدي إلى الطغيان والتعدي ومن ثم السقوط في وحل الظلم والظلمات. وقد تنجح تلك التصورات في بناء العمران الحجري، ولكنها حتما ستسقط في بناء الإنسان واستقراره في المجتمع الحضاري، أي أن تأثيرها البالغ في رسم القواعد الأخلاقية والقيمية ومن ثم السلوكية والحركية، لذا لابد من خطاب رادع لكل هذه العبثية المفسدة فجاءت : (كلا) محملة بأعلى معاني الردع والزجر، لتشكل حصانة رادعة للطغيان الإنساني، ولتكون السدّ لذلك المدّ الجارف المستعلي الناشئ من الفكر الجواني ليتم التصحيح وبناء القواعد الفكرية والعقدية على أساس المنظور القرآني " ولن يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم". ومن الجميل في هذه المفارقة الداخلية التعبير عنها بضمير الغائب " إذا ما ابتلاه" ، فأكرمه"، و" نعمه" ...الخ، وذلك لأنها تصورات غير مرئية تتشكل في الداخل الإنساني بخلاف الخطاب عن السلوكيات الناتجة عنها والتي تتشكل في خطاب الحضور كما سيأتي.

- **المفارقة الدلالية في عرض السلوكيات الجمعية في أسلوب الخطاب المباشر**
- **"كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ. وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ " ، "وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا . وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا"**

افتتح الخطاب بـ(كلا) وهي كلمة ردع وزجر تتصل بالخطاب السابق، فهي كلمة ردع وزجر لذلك الميزان الداخلي المختل للفرد في رؤيته للمقومات المادّية، وترسيخ لضرورة الردع لذلك التصور الخاطئ لأنه الأساس في الخلل الحضاري المفضي للطغيان والإفساد، فكان بالضرورة أن تأتي (كلا) لهدمه وتوجيه الحِجر الفردي إلى آثاره المدمرة في التشكيل الحضاري فجاءت (كلا) لاستعادة مركزيته في الكون ولدوره القيادي الخلافي باعتباره مخلوقا

٨٥ينظر: المجتمع والتاريخ، مرتضى مطهري، دار تنوير، القاهرة، ٢٠١٩م، ٢٢٧.
٨٦السابق.

مكرما، سواء كان في حال الوفرة أو في حال التقتير، وأنه في الحالين في موضع (ابتلاء واختبار)، يتطلب منه إعمال (الحجر/ العقل) لفهم هذه المفارقة وتصحيح معاييرها الداخلية، ليعتقد أن الوفرة المادية قد توزعت بميزان علوي عاد لتحكمه قوانين علوية قد تكون أسبابها غير ظاهرة ولكنها ترتكز على التراحم والتسخير، وتستوجب فهم قاعدة (الابتلاء) بأن ليس كل امتلاك للمادة هو استحقاق وتكريم بقدر ما هو اختبار وحمل لأمانة تستوجب الشكر للمانح بتصريفها وفق منهجه وهداه، وأنّ ليس كل حرمان من المادة هو امتهان من الخالق للإنسان بقدر ما هو اختبار له يستوجب الصّبر والرضا والعمل وفق الوسع والطاقة للبناء والإعمار. ومن خلال الشكر والصبر قولا وعملا تُستكمل الدّعامة الأخلاقية التي هي أساس البناء التكافلي التراحمي الأخلاقي الذي تقوم عليه الحضارة الإنسانية الراشدة المهتدية بالقرآن الكريم: "أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ(32)

لقد أورد الخطاب بعد (كلا) بعضا من المظاهر السلوكية الجمعية التي كانت أثرا ونتيجة لتلك النظرة المادية المختلة صيغت في قالب مفارق يتقلب بين النفي والإثبات ليرسم صورة غير أخلاقية وغير حضارية تنحدر إلى مدارك سفلية غاب فيها الجوهر الإنساني وحضارته القائمة على الأخلاق والتكافل والتراحم، وقد أبرزها الخطاب في مفارقة أسلوبية ودلالية لتصف الأثر السلوكي الناجم عن التصورات والأفكار الجوانية المنحرفة من خلال التالي:

- الأول: أسلوب النفي:"كلا بل لا تكرمون اليتيم. ولا تحضون على طعام المسكين"
- الثاني: أسلوب الإثبات، "وتأكلون التراث أكلا لّما. وتحبون المال حبًّا جمّا".

وقد تم تشكيلهما جميعا من خلال صيغة الفعل المضارع نفيا وإثباتا : (لا تكرمون)، (لا تحاضون)، و(تأكلون)، (وتحبون)، في أسلوب خطاب مباشر جمعي، بعد ما كان سابقا في الخطاب الجواني في أسلوب خطاب المفرد الغائب الفردي في أسلوب مفارق فريد؛ ليبين تأثير المعتقدات الفردانية الجوانية على السلوكيات الجمعية البرانية، وفي تشكيل الصياغة بالفعل المضارع ما يشير إلى دلالة التجدد والاستمرار للآثار الطاغية المودية بالجوهر الحضاري الإنساني في حال عدم الردع والتصحيح.

وتتجلى في الخطاب مفارقة جديدة تتمثل في إفراد (اليتيم) و(المسكين) فلم يقل: اليتامى، ولا المساكين؛ ليكون الحديث عن جنس هذه الفئات أعمق أثرا في توجيه الخطاب الجمعي، ليكون إفراد هذه الفئات بمثابة المقياس

والمعيار الذي تقاس به أخلاق المجتمعات الحضارية. فأي يتيم في مجتمع مّا لا يكرم، وأي مسكين لا يُحضّ على إطعامه، فهذه إشارات دالة على خرق أخلاقي وحضاري مهما علا على الأرض البنيان أو ازدهت الدور والقصور، فهناك بؤرة أخلاقية سوداء منذرة بهلاك المجتمع.

يتمثل المعيار الأخلاقي الأول في جنس(اليتيم)٨٧ وقد عدل عن الجمع إلى المفرد ليشير إلى جنس اليتيم مشكلا منه صورة المعيار والمقياس الذي يقرر بأن أي حضارة إنسانية لا يتم وضع فيها اليتيم موضع الكرامة - سواء كانت الكرامة المادية أو المعنوية - فإن المجتمع مختلّ حضاريا؛ لأن اليتيم عنصر إنساني في المجتمع غالبا ما يكون مظنة الحاجة والانكسار، فلزم إكرامه معنويا باعتباره فاقدا للولي والظهر الذي يسنده حتى يرقى إلى موضع الاحترام والقبول، علاوة على أهمية حصوله على الكرامة المادية بكفايته بما يسدّ حوائجه الأساسية من مطعم ومشرب وملبس وكل ما يكفل له العيش الكريم.

أما المعيار الثاني فيتمثل في (المسكين) : وهو الذي لا يجد كمال الكفاية، ويتبدى السلوك الحضاري في التعامل مع هذه الفئة ليس فقط في كفاية حاجة المسكين المادية من المأكل والمشرب، بل الترقي إلى درجة أعلى منها وهي أن يكون المجتمع دائبا في استمرار (التحاضّ) على كفايته، والتحاض أبلغ من الحض: لكمون معنى المفاعلة والمشاركة في الفعل، وأصل الحضّ من: "الحث بقوة"٨٨، والمعنى أن يكون فعل الحث متداولا مستمرا حيا نابضا بين أفراد المجتمع عناية بكل مسكين يعيش فيه، وبالتالي يقرر الخطاب تقريرا مضمنا بأن انتفاء فعل (التحاضّ) في مجتمع ما، هو مؤشر خطير لاختلال تلك الحضارة وفسادها وانحطاطها. وقد تجمع فئة المساكين كبار السن ممن لا عائل لهم أو فئة ذوي الاحتياجات الخاصة، أو كل من لم يستطع كفاية نفسه من ضرورات الحياة، وأن السعي لخدمة هذه الفئة وكفايتها من المؤشرات الحضارية الراقية.

- **ثالثا: المعيار الثالث: أكل التراث.**

و (التراث) هو الميراث، وعبّر عن أخذه بفعل (الأكل) الذي تواتر وروده في الآية مرتين : مرة على صيغة المضارع (وتأكلون)، ومرة على صيغة مصدر المفعول المطلق المبين للنوع: (أكلا لمّا)، وإنّ استعارة عملية (الأكل) في تصوير السلوك إلباغي مع التراث/الميراث، يشي بمعنى الاستقصاء الكامل للمأخوذ دون تحر أواحتراز،"وهو مستعار للانتفاع بالشيء انتفاعا لا يبقي منه

٨٧التعريف في كلمة اليتيم هو للجنس، وتأتي (أل التعريف) لاستغراق أفراد الجنس كله، ينظر: مفني اللبيب١/٦١، أي انها جاءت بمعنى :اليتامى والمساكين. انظر التحرير والتنوير: ٨ / ٣٣٣.

٨٨ينظر: المعجم الوسيط: ١/١٨١.

شيئا"٨٩ ودون النّظر فيما يحلّ منه ومالا يحلّ، وكيف أن هذه الصّورة الجمعيّة السلبيّة إذا تفشّت في مجتمع ما، فإنه علامة دالّة على اختلال حضاري مرير، ومؤشر على تفشي صورة بهيمية تنحط عن الارتقاء الإنساني، لأن استعارة فعل الأكل وإن كان يعد عملية حيوية تشترك فيها الكائنات الحية من إنسان وحيوان، لكن الفارق بينهما عظيم، فالبيئة الحيوانية بهيمية مسيرة تحتكم إلى قانون إلهي يفضي إلى توازن الطبيعة، ولكن الإنسان مخلوق مكرم بالاختيار وحرية اتخاذ القرار وفق إعمال العقل الراشد المهتدي بالهدي الرباني، وإن استمراءه أكل ميراث لا يستحقه هو مؤشر لاختلال حضاري كبير منذر بالهلاك، وناجم عن تصور جواني منحرف بأن البقاء للأقوى فيظلم ويعتدي ويطغى.

المعيار الرابع: حب المال، وهنا يتناول الخطاب سلوكا جمعيا تجاه المال صيغ في صورة المعنى المجرّد المتمثل في (الحبّ)، حيث حصر (المال) بين حبّين، بين الفعل المضارع (تحبون)، والمصدر الموصوف (حبا جما)، " وتحبون المال حبا جما". وحب المال من الأمور التي فطر الإنسان عليها، فالمال قوة وكفاية، ولكنه وسيلة وليس غاية. وكلما ازداد حبه نبت الشح والبخل في النفس، لذا ظهرت في السلوكيات الجمعية بين الإثبات والنفي لتشيد وتعزز من العلاقات التراحمية، ولتضبط العلاقات المادية بالهدي الرباني حتى لا تنفلت باغية فتأكل ماليس لها دون وازع أوضابط. ثم تأتي كلمة الزجر (كلا)بوصفها خطابا مفارقا حاملا لمعنى الزجر والاستنكار والردع، متواترا في الموضعين : في الخطاب الجواني المشكل للأفكار والتصورات، وفي الخطاب البراني الجمعي الرّصد للسلوكيات اللا أخلاقية الناتجة عن عالم الأفكار والتصورات وامتدادا لها. لأنّ الروح حين تشبع بالمادة تُطمس أنوارها، وينحط الإنسان إلى درك المادية وبالتالي يزداد جشعه ويقل خيره : " كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى .أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى "٩٠

- **المفارقة السردية في عرض أحوال اليوم الآخر.**

" كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا . وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا . وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى . يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي . فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ . وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ . يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي"

٨٩ التحرير والتنوير: ٣٠ /٣٣٤.

٩٠سورة عبس: ٦، ٧.

ينتقل الخطاب في الآيات من دار الدنيا إلى دار الآخرة في مفارقات مركبة، ذلك لأن صياغة الإنسان الحضاري في المنظور القرآني تتجاوز ذلك الإنسان الطيني المكتفي بحياة الأرض إلى ذلك الإنسان الممتد الذي يعيش دنياه ليزرع آخرته ويعمرها. إن النظرة الشاملة للتنوع الزمني (الماضي، والحاضر، والمستقبل) في الخطاب منح الوجود الإنساني أبعادا جمالية، فهو يعتبرُ بماضيه ليصيغ حاضره وفق نظرة مستقبلية ممتدة لما بعد الموت. ولحظة الموت هنا تفصل بين الآني والمتنامي، فهي لا تعبّر عن الفناء التام، بقدر ما هي إيذان بحياة جديدة خالدة. فالموت في المنظور القرآنية ليس نهاية محضة، والزمن الذي يحيل إليه الموت أكثر امتدادا وأهمية من زمن الحياة الأرضية. وبالتالي فإن الإنسان يحيا بين زمانين : زمن ممتد ينتمي إليه من قبل الوجود المادي (من زمن نفخ الروح)، وزمن مقيد أصبح فيه حينما وُجد جسدا، فروحه تنتمي للزمن الأول الممتد الخالد، ولكن جسده ينتمي للزمن المقيد، فهو خاضع لقوانين الحياة الدنيا ومحكوم بعواملها وسننها، لذا فإن صياغة الحضارة الإنسانية ومن أهم ركائزها في المنظور القرآني أنها لا تفصل الحياة الدنيا عن الآخرة، وبذلك يتحقق التوازن المطلوب الذي يحدّ من طغيان الهوى والغريزة البشرية، ورغباتها الطينية، ويتحقق الإنسجام بين مطالب الروح والجسد فتجعله منضبط الحاجات والرغبات حاصلا على الطمأنينة والسكينة بأن كل ما يصيبه فيها من حال نعمة أو نقمة هو ابتلاء يواجهه بالسلوك المهتدي بالهدي الرباني ليرقى إلى أعلى درجات العبودية لله. ويبدأ الخطاب بسرد الأهوال في ذلك اليوم الفاصل بين حياتين، فيقول:

" كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا . وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا . وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ .."

وتتجلى في هذه الآيات صورة مشهدية استباقية يرفع عنها ستار المحجوب في تعبير أسلوبي صيغ بالفعل الماضي (إذا دُكت الأرض ..، وجاء ربك والملك ...، وجِيء يومئذ بجهنم) ليصبغ المشهد بصبغة التحقق والوقوع، وحتمية إدراك ذلك اليوم المليء بالأهوال، فالأرض تدك دكا بعد دك فيُكسر كل ما كان معهودا فيها، فتتبدل أحوالها وتتغير معالمها وسننها وقوانينها، ويصبح الغيب حاضرا مشاهدا، ويجيء الله مجيئا يليق بجلاله وتصطف الملائكة صفا صفا، ويُؤتى بجهنم التي كانت غيبا في الدنيا فتصبح معاينة مشاهدة، ويرى الناس كل هذا فيمتازون ويتفرقون إلى نوعين : حال الجاحد المفرط الذي عُبر عنه بـ(الإنسان) وحال المؤمن المهتدي الذي عُبّر عنه بـ(النفس المطمئنة):

"يَومَئِذ يَتَذَكَّرُالإِنسَنُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكرَى . يَقُولُ يَالَيتَنِي قَدَّمتُ لِحَيَاتِي "

والملاحظ في الآيات صياغة الأحداث في أفعال مضارعة (يتذكر الإنسان ... يقول ...) ليبث الحياة والحركة في هذه الصورة المشهدية لنعيش اللحظة والدهشة وخيبة التوقع التي وقع فيها الإنسان المفرط الذي شغلته الدنيا فأعمته عن الله وقيدته بأغلالها وشهواتها، فأعرض عن إنذار الرسل وتحذيرهم من هذا المصير حتى جاء اليوم الذي يتذكر فيه كل شيء، ولكن لن تنفعه الذكرى وسيواجه بالمصير المرير، فيتحسر ويندم، ويصيغ الخطاب حوارا داخليا للشخصية مع ذاتها تقول :" ياليتني قدمت لحياتي". ويكتفي الخطاب بسرد هذا القول الذي تتكثف فيه المعاني والدلالات، فهل مقصوده في قوله: (لحياتي): الحياة الأولى، أم الحياة الآخرة؟ هل كان يتمنى أن يكون قدم في (حياته الأولى/ الدنيا) ما ينجيه في الآخرة، أم كان يتمنى أن يكون قد قدم الصالحات في حياته الأولى لأجل (حياته الباقية/ الآخرة)؟ ويترجح المعنى الثاني لأنها الحياة الحقيقية الباقية الخالدة، ولكن بالمقابل المعنى يحتمل الضدين فالعمل الصالح في الدنيا هو إسعاد للإنسان في الحياة الأولى والآخرة، وتحرّرٌ له من كل القيود التي تكبله ومن هواه ورغباته التي قد تطغيه فيحيد عن الطريق السوي الرشيد. فيتكشف له الحق وينقشع عنه ضباب الوهم في اليوم الآخر ويواجه العذاب والأغلال:

" فَيَومَئِذ لَّايُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَد . وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَد"

ويتجلى في المصير مفارقة جديدة في تأويل عود الضمير (الهاء). هل يعود على (الله)جل في علاه، فيكون المعنى أن الله هو من سيتولى تعذيبه ووثاقه ولن يكل بذلك الأمر لأحد سواه، أو أن الضمير يعود على المخاطب (الإنسان): والمعنى أي أنّه لن يعذّب أحدٌ مثل عذابه، ولن يوثق بالسلاسل والأغلال أحدٌ مثل وثاقه، للدلالة على شدته وبأسه.[٩١] فعذاب الدنيا وإن طال لا يقاس بعذاب الآخرة. ويتجانس عذاب الدنيا مع عذاب الآخرة فالمكبل بالشهوات الطاغية في الدنيا اختيارا سيكبل بالأغلال في الآخرة قهرا دون أمل في النجاة، ثم يستعرض الخطاب مشهدا مفارقا ينادى بها الإنسان بالمهتدي بنداء رقيق : "يَا أَيَّتُهَا النَّفسُ المُطمَئِنَّة . ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ رَاضِيَة مَّرْضِيَّة . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي" وتتكوثر المعاني المفارقة في آيات الختام فالنفس المطمئنة هل هي وصف لنفس المؤمن في الآخرة فيكون الخطاب من باب البشارة للمتلقين من المؤمنين الطائعين، أو هو صف ملازم للمؤمن في الدنيا والآخرة؛ لأن هذه النفس حين أقامت منهج الله في نفسها وفيمن حولها فسلكت الطريق الآمن الرشيد فكانت نفسا مطمئنة لتحقق التوازن فيها متناغمة ومنسجمة مع نظام الكون المنضبط بسنن الله وقوانينه كما الفجر والليل، فكسيت بالتوازن والاستقرار والسكينة لذلك فهي "آمنة لا يلحقها

[٩١] ينظر البحر المحيط: ٨ /٤٦٧.

خوف ولا حزن حيث كانت مطمئنة إلى الحق لم يخالطها شك"٩٢، وهو وصف يلائمها في الحالين في الحياة الأولى والآخرة، فهي راضية عن الله وأقداره عليها ومرضيٌّ عنها من مولاها وخالقها، وهي أعلى درجات الارتقاء في وصف النفس المؤمنة حين تتلبس الرضا ويحل عليها الرضا، فهي تتقلب في الرضا وهو محصلة تحقق العبودية فيها في ضبط هذه النفس لتكون وفق منهج الله في أداء الحقوق والواجبات لنفسها ولمجتمعها، لذلك تستحق أعلى الأوسمة وهو النداء بقوله : (فادخلي عبادي) فهي جنة الصغرى، التي قامت على أساس الإيمان بالله الذي تستقر به النفوس، ثم العمل بمنهجه القائم على أساس الأخلاق التكافلية التراحمية فترتقي به وتسمو به، وأي حضارة تغيب عنها هذه المعاني الغيبية فلا إيمان بالخالق ولا باليوم الآخر ، فإنها لا شك تبقى منحصرة مغلولة منغمسة في متع الحياة الدنيا التي تودي بها إلى انهيار محتوم، تطغى فيها المادة والشهوة حتى ينحسر عنها فجر الحضارة الراشدة.

• الخاتمة :

من خلال القراءة المفارقة لسورة الفجر والوقوف على مظاهرها وصورها تتكشف الوحدة المعنوية الكامنة فيها، والرسالة الموحية خلف المتغايرات والمفارقات، ويبرز الاتجاه القرآني في بناء الحضارة الراشدة، وأن الإنسان فردا كان أو مجتمعا لا يمكن الاكتفاء بمقدراته العقلية والنفسية والمادية في إنشاء الحضارات دون الإيمان بالله والاهتداء بالرسل و الكتب السماوية، كما أن التسلسل الفريد في مقاطع السورة بيّن مرتكزات الحضارة في المنظور القرآني القائم على الأخلاق والقيم والتكافل والتراحم وضبط الحِجْر الفردي والجمعي وفقه منهجه المتوازن الذي يعمل في دنياه معتبرا بماضيه ويعمل في حاضره ما ينفعه في أخراه، منطلقا منضبط التصورات والأفكار والمعتقدات الجوانية فتنضبط بذلك سلوكياته، فيستقيم المجتمع فيتشكل باستقامته اللبنة الصالحة لإنشاء الحضارة الراشدة المهتدية بالهدي الرباني االقويم.

• المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر – بيروت، ط:٣، ١٤١٤ هـ
- تفسير البحر المحيط. أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

٩٢ينظر البحر المحيط: ٨ /٤٦٧

- تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩ م.
- تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.
- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، هـ١٤٠٤
- تفسير الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤ م.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر، ١٩٩٤م.
- المفارقة القرآنية، محمد العبد، دار الفكر العربي، ١٩٩٤م.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار الفكر، تحقيق عبد السلام هارون، ١٩٧٩م.
- المفارقة التصويرية- مفهومها وتجلياتها في لتراث البلاغي، دعاء إبراهيم، مجلة كلية الآداب، جامعة أسوان، كلية الآداب، ع: ٩، (٩٣-٦٧)، ٢٠٢١م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٤، ١٩٩٨م
- المفارقة القرآنية- دراسة في بنية الدلالة، محمد العبد، دار الفكر العربي، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٤٤٩م،
- العدول بالمفارقة- التداخل المغالطي بين الحجاجي والجمالي، مجلة:سياقات اللغة والدراسات البينية، عيد بلبع، مج ٧،ع١، ٢٠٢٢م، ١-١٧، الناشر: . Natural Sciences Publishing
- دراسة بنية المفارقة في النص السردي الحديث، إيمان حلمي بغدادي. حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، مج:٢٦، ٢٠٢٢م،(٤٤١١-٤٤٨٥).
- لغة المفارقة، أبا حسين، محمد بن منصور (١٩٩٠)، الدارة، مج: ١٦، ع٢، ١٧٠- ١٩٣.
- معجم أكسفورد للمصطلحات الأدبية. تشيريس بلاديك، ترجمة: ناهد موسى وآخرون، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ٢٠٢٠م.
- المفارقة. نبيلة إبراهيم ، مجلة فصول، مج: ٧، ع ٣، القاهرة ، ١٩٨٧م.
- سيزا قاسم، المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة فصول، القاهرة ١٩٨٢م، مج٢، ص ١٤٣ و ١٤٤.
- المفارقة الروائية والزمن التاريخي، أمينة رشيد، مجلة فصول، مج: ١١، ع: ٤، القاهرة، ١٩٩٣م،
- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطيأبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، د.ت.

- الزمن في العربية من التعبير اللغوي إلى التمثيل الذهني، جنان التميمي، كرسي الدكتور عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربيةوآدابها، فهرسة الملك فهد الوطنية،ط٢٠١٣،١م.
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١م.
- أثر بناء الجملة الإنشائية في توجيه المعنى في سورة مريم، علي المحنا وسيروان الجنابي، مجلة جامعة الكوفة وآدابها،ع١٤، ١٠٩-١١٠ جامعة الكوفة، كلية الآداب، ٢٠١٢م.
- التعريف والتنكير في اللغة العربية- مقاربة تداولية. عبد الزهرة عودة جبر، مجلة ميسان للدراسة الأكاديمية، مج: ١٦، ع: ٣١، جامعة ميسان- كلية التربية الأساسية، (٢٥٥-٢٤٠)، ٢٠١٧م.
- الخصائص أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ)، تحقيق محمد على النجار، بيروت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.٤، د.ت.
- الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن:٢٢٠، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٩م
- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرحمن الكواكبي، دار الفكر الحر، سوريا، د. ت.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية، استانبول، ١٩٧٢م.
- معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، ٢٠١٠م.
- دلالة الأوصاف السلبية المعنوية المقترنة بلفظ الإنسان في القرآن الكريم. آلاء محمد صبحي سرحيل. مجلة جامعة الشارقة والدراسات الإسلامية ، المجلد: ١٨، العدد: ١، ٢٠٢١م، (٦٦٥-٦٩١).
- المجتمع والتاريخ، مرتضى مطهري، دار تنوير، القاهرة، ٢٠١٩م، ٢٢٧.